عناصر الفعل التواصلي عند أوائل البلاغيين العرب
(أطراف العملية التواصلية)

Elements of the Communicative Action among the early Arab Rhetoricians
(Elements of the Communicative Process)

ملخص البحث

يقدم هذا البحث صورة عن مكانة (المرسل – الرسالة - المرسل إليه) أطراف عملية التواصل عند أوائل البلاغيين العرب، في تعريفهم البلاغة ومن خلال مباحثهم ودراساتهم البلاغية، مقارنة بما هي عليه عند الدارسين الغربيين في القرن العشرين، إذ ثبت أن أوائل البلاغيين العرب نظروا إلى الأطراف الثلاثة معا، وتنبهوا لأدوارها وآثارها في عمليتي إنتاج النص وقراءته/تلقيه، وأنهم لم يهملوا أي طرف منها، ولم يكتفوا بالتركيز على أحدها، كما هو الحال في الدراسات الغربية التي ركز بعضها على المرسل إليه، وبعضها على الرسالة، من زاوية القراءة والتلقي، دون التفات إلى مرحلة إنتاج النص، وكذلك تغييب منتج النص الذي تم إعلان وفاته لديهم، اللهم إلا ما جاء في جهود جون أوستين، وجون سيرل ويورجين هابرماس، ومن نحا نحوهم، على ما هو موضح في ثنايا البحث.

Abstract

This research presents an overview of the status of the communication elements process (i.e., Addresser- Message- Addressee) among the early Arab rhetoricians, in terms of their definitions of Rhetoric, and through their research and rhetorical studies, compared to that of Western scholars in the twentieth century. This research proves that the early Arab rhetoricians had concentrated on all the elements together as they were aware of these elements' roles and effects all together on the process of text production and receiving/reading. Unlike the case in the Western studies, some of which focused on the addressee while others, from the reading point of view, paid more attention to the message itself, without regard to the text production stage. Not only this but the Western studies also ignored the text producer if dead, except what was noted in the efforts of John Auston, John Searl and Jurgen Habermas and others as indicated in this research.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

المقصود بالفعل التواصلي - بحسب ما يراه الفيلسوف الألماني يورجين هابرماس رائد نظرية الفعل التواصلي - هو: "الفعل المشترك لذاتين على الأقل، قادرين على: الكلام، والفعل، وإقامة علاقات شخصية مشتركة" (أبو السعود، ٢٠٠٢م، ص١٠٨)، أما عناصره المرادة في هذا البحث فهي: أطراف عملية الاتصال اللغوي الثلاثة (المرسل - الرسالة - المرسل إليه).

في هذا :[1]راجحي_د] التعليق

وتم الاقتصار عليها دون بقية العناصر؛ لأن كلا منها مثل حجر الزاوية لدى إحدى النظريات اللغوية والأدبية والنقدية، فمنها ما ركز على المرسل، ومنها ما ركز على المرسل إليه، ومنها ما ركز على الرسالة، وتشكلت رؤى كل منها وفق الطرف الذي ركزت عليه، لكن نظرية الفعل التواصلي حاولت النظر إلى الأطراف الثلاثة معا.

سبب اختيار الموضوع:

لفت نظري وأنا أطلع على آراء الفيلسوف الألماني هابرماس وجهوده في نظرية الفعل التواصلي أنه يؤكد على دور أطراف عملية التواصل جميعا؛ باعتماده التفاعل بينها والتشارك والتحاور، وصولا إلى تحقيق التفاهم، على نحو أعاد إلى ذهني إشارات عربية قديمة، في تعريفات البلاغة، لأوائل البلاغيين العرب، تذكر الأطراف الثلاثة، وتنبه على وجوب مراعاتها في مراحل إنتاج النص وقراءته، وما تسهم به في إنجاح الفعل التواصلي.

مشكلة البحث:

في ضوء ذلك ثار في ذهني تساؤلان:

س١- ما طبيعة ما جاء في كلام أوائل البلاغيين قديما حول الأطراف الثلاثة؟

س٢- ما مدى التقارب بين تلك الإشارات العربية القديمة وبين جهود الدارسين الغربيين في القرن العشرين في هذه النقاط تحديدا؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١- إلقاء الضوء على مواقع عناصر الفعل التواصلي لدى أوائل البلاغيين العرب.

٢- الكشف عن بعض جوانب نظرة أوائل البلاغيين إلى عملية الاتصال اللغوي.

٣- عقد المقارنة بين نظرة أوائل البلاغيين العرب إلى أطراف عملية الاتصال ونظرة الدراسات الغربية في القرن العشرين إليها.

أهمية البحث:

إن أهمية ما يطرحه هذا البحث تكمن في أنه:

١- يحاول مد جسور التواصل بين الماضي والحاضر في حقل الدراسات البلاغية العربية بالالتفات إلى القديم وتناول هذه الجزئية المدروسة في البحث لدى البلاغيين القدماء بنظرة تواصلية حديثة.

٢- يحاول مد جسور التواصل بين العربي والغربي في حقل الدراسات البلاغية، بتناول جوانب اتفاق واختلاف الرؤيتين في الجزئية المدروسة في هذا البحث.

٣- يفتش عن منطلقات للبعث والإحياء والتجديد في التراث البلاغي.

المنهج:

تم اعتماد الدراسة الوصفية المقارنة بين ما ضمته إشارات أوائل البلاغيين العرب عن أطراف عملية التواصل الثلاثة، ومواقعها في بعض النظريات الغربية في القرن العشرين.

حدود البحث:

تنحصر حدود هذا البحث في ثلاثة حدود، أولها: الموضوع المتناول، وهو أطراف عملية التواصل الثلاثة، وثانيها: المكان الذي توجد فيه تلك الأطراف الثلاثة، وهو: تعريفات البلاغة ومباحثها لدى أوائل البلاغيين العرب، والدراسات الغربية ذات العلاقة، وثالثها: المنهج.

خطة السير:

بعد المقدمة هذه، وتمهيد عن الدراسات الغربية، انقسم البحث إلى مطلبين، على النحو الآتي:

١- المطلب الأول: المتكلم/المرسل عند قدماء البلاغيين.

٢- المطلب الثاني: المخاطب/المرسل إليه عند قدماء البلاغيين.

٣- المطلب الثالث: الكلام/الرسالة اللغوية عند قدماء البلاغيين العرب.

٤- الخاتمة: وضمت أهم نتائج وتوصيات البحث.

٥- قائمة المصادر والمراجع: وتم فيها ذكر معلومات المصادر والمراجع التي تم الاقتباس المباشر منها في ثنايا هذا البحث، بطريقة: المؤلف، التاريخ، العنوان، المحقق/المترجم، دار النشر، مكان النشر.

ويمثل هذا البحث خطوة أولية، أتمنى أن أكون قد وفقت فيها، وأسهمت بها في خدمة الدرس البلاغي، وأرجو من الله جل في علاه أن يهديني سواء السبيل.

الباحث

تمهيد

تغير مسار الدرس اللغوي منذ ألقى فرديناند دي سوسير(١٨٥٩- ١٩١٣م) محاضراته بين عامي: ١٩٠٦- ١٩١١م، مركزا جهوده على دراسة اللغة (دي سوسير، ١٩٨٥م، ص٣٥)، ومفرقا بين اللغة باعتبارها نظاما من الإشارات يربط بين المعاني والصور الصوتية (دي سوسير، ١٩٨٥م، ص٣٣)، والكلام باعتباره نشاطا فرديا (دي سوسير، ١٩٨٥م، ص٣٢)، وهو تفريق بني عليه التفريق بين الكفاية والأداء في النحو التوليدي (شبلنر، ١٩٨٧م، ص٣٩)، فتم التركيز على اللغة/النص، ودراستها في ذاتها ولذاتها، والنظر إلى العلامة اللغوية باعتبارها المنطلق لدراسة العلاقة بين الدال والمدلول/الصورة الذهنية/المفهوم (ألان، ٢٠١١م، ص١٩)، أو الشيء (كوهن، ١٩٨٦م، ص٢٧)، فنشأ في ضوء ذلك مصطلح: الدراسات اللسانية/الألسنية (قدور، ١٩٩٦م، ص١١)، وقيل: إن فرانز بوب هو أول من استخدمه سنة: ١٨١٦م (مونان، ١٩٩٤م، ص١٩) ثم استخدمه بعد ذلك سوسير في محاضراته بشكل ملفت (البواب، ٢٠١٥م، ص٤)، وأحدثت الأفكار السوسيرية ثورة في جوانب الدراسات اللغوية (الفهري، ١٩٩٠م، ص١٧)، وفي بقية حقول المعرفة (بوحوش، ٢٠٠٧م، ص٩).

وبموازاة ذلك جاءت جهود بيرس (١٨٣٩ - ١٩١٥م)، الذي درس العلامات بصورة عامة (عياشي، ٢٠٠٤م، ص٣٣، ٣٤)، واعتبر العلامة اللغوية فرعا من فروعها، فنشأت السيميائية، وفي الفترة نفسها نشأت المدرسة الشكلانية/الشكلية (سلدن، ١٩٩٦م،ص١٥)، ثم ظهرت الدراسات البنيوية، وأعطى موقفها من المؤلف صورة عن قطيعتها التامة مع ما هو خارج النص (بغورة، ٢٠٠٥م، ص١٦٤)، ثم جاءت نظريات التلقي، فبدأت تلتفت إلى المتلقي (هولب، ٢٠٠٠م، ص١٧٣، ١٧٤)، وتعددت القراءات، وتحولت إلى إعادة إنتاج النص من خلال القارئ، حتى أصبح النص مرآة له (حرب، ١٩٩٥م، ص٦).

ونتج عن السيميائية الدراسات التداولية، فدرست علاقات العلامات بمستعمليها (موشلر وريبول، ٢٠١٠م، ص٢١)، ونجد فيها محاولة جادة - وإن لم تنفرد بها التداولية - لكسر قيود البنية، كما في محاولة ليفي شتراوس مراجعة الموقف من المؤلف (بغورة، ٢٠٠٥م، ص١٦٤)، وهاريس في إشراك الموقف الاجتماعي (عبد المجيد، ١٩٩٨م، ص٦٥)، وإشراك بقية عناصر الفعل التواصلي، وفي مقدمتها: المرسل، على ما ذكره الدكتور/ محمد العمري في مقدمة ترجمته على كتاب البلاغة والأسلوبية (بليث، ١٩٩٩م، ص١٣، ١٤).

وبناء على ما أرسته نظرية أفعال الكلام التي أسسها جون أوستين بدأت التداولية تعمق النظرة في دور المتكلم، على ما نجده عند جون سيرل في القصدية، حيث تم التركيز على المتكلم

ومقاصده (سيرل، ٢٠٠٩م، ص١٦)، والمتكلم والمخاطب عند پول غرايس، في تفريقه بين القول والجملة، في مقاله "مبدأ المحايثة" (روبول وموشلار، ٢٠٠٣م، ص٥٤، ٥٥).

ونجد تقدما كبيرا في النظر بإنصاف إلى المتكلم والمخاطب والعالَم، عند المنظر اللغوي الألماني كارل بوهلر (فينليسون، ٢٠١٥م، ص٤٩)، وهي رؤية اعتمدها هابرماس وطورها، فنظر إلى العناصر الثلاثة وغيرها من عناصر الفعل التواصلي (أبو السعود، ٢٠٠٢م، ص١٠٥، ص١١٤)، إذ تقوم نظرية الفعل التواصلي لديه على: التفاعل الحر (سيد أحمد، ٢٠١٠م، ص٣٠٤)، بين المتكلم والسامع، بحيث يتبادلان المواقع والأدوار باستمرار (أبو السعود، ٢٠٠٢م، ص١٠٨)، لتحقيق التفاهم المتبادل، حسب معايير متفق عليها (أبو السعود، ٢٠٠٢م، ص١٠٠)، بأن يتم اختيار تعبير معقول؛ يمكِّن المتكلم والمستمع من تفهم بعضهما لبعض، وعلى المتكلم أن يوصل مضمونا قضويا حقيقيا؛ يمكن المستمع معرفته، وأن يعبر عن مقاصده بصدق؛ ليصدقه المستمع ويثق به (حمدي، ٢٠١٢م، ص٢٥٥)، فكل شخص قادر على الكلام والفعل يمكنه المشاركة في التواصل، وأن يعلن عن ادعاءاته للصلاحية، شريطة أن يراعي مقاييس المعقولية، والحقيقة، والدقة والصدق (سيد أحمد، ٢٠١٠م، ص٣٠٤).

تفهم بعضهما لبعض :[2راجحي_د] التعليق

ومعلوم أن هابرماس إنما فعل ذلك لخدمة فلسفته الخاصة بعلم الاجتماع، فتناول الأطراف الثلاثة والعناصر الأخرى، في الجانب التفاعلي أثناء التواصل، وفي لغة الكلام اليومي (حمدى، ٢٠١٢م، ص١٤٦).

وممن دعا إلى إشراك محيط إنتاج النص من الغربيين الفيلسوف بيير بورديو، حيث قال: "أعتقد فيما يخصني أنه ينبغي الربط بين الفضاء الذي تتموضع فيه النصوص والفضاء الذي يتموضع فيه المنتجون، أي: الكُتَّاب"، (بغورة، ٢٠٠٥م، ص١٨٤).

ومما مر نلاحظ أن الدراسات الغربية - المشار إليها - لم تنظر نظرة شاملة إلى الأطراف الثلاثة، ولا نظرت إلى آثارها وأدوارها في عملية إنتاج النص، وإنما ركزت في الأغلب على مرحلة القراءة، فكيف كانت نظرات أوائل البلاغيين العرب إلى الأطراف الثلاثة؟

عناصر الفعل التواصلي عند أوائل البلاغيين العرب

أدرك أوائل البلاغيين العرب ما لكل من: المرسل والمرسل إليه والرسالة، من مكانة فاعلة ودور بارز في عملية إنتاج النص؛ فجاءت تلك العناصر في تعريفهم البلاغة على جهة الإجمال، والإشارة، والإيماء، وجاءت بعضها على جهة التفصيل في دراساتهم اللغوية والبلاغية والإعجازية والتفسيرية والأصولية، وما يعنينا ههنا هو تعريفات البلاغة ومباحثها لديهم.

ولقد كانت العناصر الثلاثة: المرسل والمرسل إليه والرسالة، ومعها بقية عناصر الفعل التواصلي حاضرة ومُعتَبَرة في تعريفات البلاغة لدى أوائل البلاغيين العرب، كما في حديث الجاحظ عن البيان، حيث قال: "والبيان: اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان في ذلك الوضع" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٧٦)، فلقد تجاوز بالبيان إلى كل ما أفهم به المتكلم المخاطب، وكل ما يقع به الفهم يعني: عدم التقيد بالعلامة اللغوية.

إن هذه النظرة الواسعة لمفهوم البيان تجعل العلامة اللغوية إحدى العلامات، وليست كل ما يتم به البيان، أو يتحصل به الفهم بحسب تعريف الجاحظ هذا: (كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل)، وكذلك حديثه عن النِّصبة، حيث قال: "وأما النصبة، فهي: الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص، فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٨١)، وهو بهذا يقترب - على نحو ما - من قول سوسير: "فعلم اللغة هو جزء من علم الإشارات العام، والقواعد التي يكتشفها هذا العلم يمكن تطبيقها على علم اللغة" (دي سوسير، ١٩٨٥م، ص٣٤)، ومن دراسة العلامة اللغوية عند بيرس، حينما درسها في إطار "علم عام للعلامات، لا تشكل الألسنية سوى فرع منه" (عبابنة، ٢٠٠٤م، ص٣٠٧).

ولقد جاء لفظ العلامة مقاربا معنى النصبة عند الجاحظ، في دراسات إعجاز القرآن الكريم، كما تعريف البيان في رسالة النكت في إعجاز القرآن الكريم، حيث جاء فيها: "البيان هو: الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره، في الإدراك، والبيان على أربعة أقسام: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة" (الرماني، ١٩٧٦م، ص١٠٦).

وجاء لفظ العلامة واسع الدلالة في كتاب الحيوان، في قوله: "واللسان يصنع في جوبة الفم، وهوائه الذي في جوف الفم، وفي خارجه، وفي لهاته، وباطن أسنانه، مثل ما يصنع القلم في المداد والليقة والهواء والقرطاس، وكلها صور وعلامات وخلق مواثل ودلالات" (الجاحظ، ١٩٦٥م، ١/ ٧٠)، وجاء فيه أيضا ضيق الدلالة في كلام عن الاسم الدال على المسمى، حيث قال: "فمن جعل الحيات سباعا، وسماها بذلك عند بعض القول والسبب، فقد أصاب، ومن جعل ذلك لها كالاسم، الذي هو العلامة، كالكلب والذئب والأسد، فقد أخطأ" (الجاحظ، ١٩٦٥م، ١/ ٢٨، ٢٩).

ولقد حصر الجاحظ العلامات في خمسة أنواع، وذكر أنها لا يخرج عنها شيء، فقال: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني - من لفظ وغير لفظ - خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد، أولها: اللفظ، ثم: الإشارة، ثم: العقد، ثم: الخط، ثم الحال، التي تسمى: النصبة، والنصبة هي: الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تُقصِّر عن تلك الدلالات" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٧٦)، وفي الحيوان حصر البيان في أربعة أقسام: لفظ، وخط ، وعقد وإشارة، ثم تحدث عن الجماد وكيف أنه ينطق ويدل، واستشهد لذلك بشواهد، ثم قال: "فمن جعل أقسام البيان خمسة فقد ذهب أيضا مذهبا له جواز في اللغة، وشاهد في العقل" (الجاحظ، ١٩٦٥م، ١/ ٣٣: ٣٥)، وهذا إشارة منه إلى أن ما يقع به البيان بين أطراف عملية التواصل من المتشاركين فيها - وهو العلامة التواصلية - أربعة فقط، أما ما تقع به الاستبانة والاستدلال فهو الأربعة المذكورة وغيرها، وهذا ينبئ عن وعي تام للفروق بين العلامات اللغوية والتواصلية وبقية أنواع العلامات.

ولم أجد - في ما اطلعت عليه من كتابات التواصليين - ما يتناول جانب أثر العلاقة بين المرسل والمرسل إليه، ومكانة كل منهما على عملية الإنتاج في الفعل التواصلي، اللهم إلا ما جاء في تواصلية هابرماس من أن حصول العلاقة بين المتشاركين في الفعل التواصلي دليل نجاح أفعال الكلام (حمدي، ٢٠١٢م، ص١٦١).

أما أوائل البلاغيين العرب فإنهم تناولوا ذلك بشيء من العمق، فأكَّدوا ضرورة مراعاة مكانة المرسل والمرسل إليه معا في عملية الإنتاج باختيار الألفاظ والعبارات المناسبة لمكانة كل منهما، فقالوا: "ونستحب له أيضا أن ينزل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه" (ابن قتيبة، ٢٠٠٢م، ص٢٤)، واستنكروا عدم مراعاة بعض العارفين باللغة ذلك: "وربما غلب سوء الرأي وقلة العقل على بعض علماء العربية، فيخاطبون السوقي والمملوك والأعجمي بألفاظ أهل نجد، ومعاني أهل السراة" (العسكري، ١٩٨١م، ص٣٧).

التعليق [3راجحي_د]: لا حاجة لحرف الجر... قل: فأكدوا ضرورة

ونصوا على وجود أمر جامع بين الأطراف الثلاثة في الفعل التواصلي؛ "لأن سبيل المتكلم الإفهام، وبُغية الـمُكَلَّم الاستفهام، فأخف الكلام على الناطق مؤنة، وأسهله على السامع مَحْمَلا، ما فُهم عن ابتدائه مراد قائله، وأبان قليله، ووضح دليله" (ثعلب، ١٩٩٤م، ص٧٣).

وذكروا ما يجب على المتكلم والمخاطب معا ليكونا بليغين، أو ليسهما في نجاح عملية التواصل، أو لتحقيق بلاغة الكلام، فقالوا: "مدار الأمر على البيان والتبيُّن، وعلى الإفهام والتفهم، وكلما كان اللسان أبين كان أحمد، كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد، والمُفْهِم لك والمُتَفَهِّم عنك شريكان في الفضل، إلا أن المُفْهِم أفضل من المتفهم" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١١)، فكل واحد منهما مطالب بالدرجة نفسها بما يطالب به الآخر، فهما قد يتبادلان الأدوار أحيانا، قال أبو عباد: "ما جلس بين يدي رجل إلا تمثل لي أني سأجلس بين يديه" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ٢/ ٤١)، فيصبح المرسل متلقيا والمتلقي مرسلا.

ولانحصار الكلام في هذا البحث على العناصر الأساس للفعل التواصلي، وهي: (المرسل - المرسل إليه - الرسالة)، انقسم إلى ثلاثة مطالب، يتناول الأول الطرف الأول من أطراف عملية التواصل، أعني: المتكلم، ويتناول المطلب الثاني الطرف الثاني من أطرافها، أي: المخاطب، ويتناول الثالث الطرف الثالث، وهو: الرسالة اللغوية (النص) في تعريفات البلاغة لدى أوائل البلاغيين العرب.

المطلب الأول

المتكلم

التعليق [د_راجحي4]: اجعل هذا مطلبين الأول للمتكلم والثاني للمخاطب ؛ ليكون البحث ثلاثة مطالب بحسب عناصر الخطاب الثلاثة

لم يعلن أوائل البلاغيين العرب وفاة المؤلف، كما فعلت البنيوية (ألان، ٢٠١١م، ص١٠٠)، بل اعتبروه ركنا رئيسا، وأعطوه مكانته التي تناسب دوره في عملية الاتصال اللغوي، وبحسب نص الجاحظ السابق فإن مكانته أعلى من المتلقي: (إلا أن المفهم أفضل من المتفهم)، ولكن هذا لا يعني أنهم أهملوا المتلقي ولا الرسالة، بل أنزلوا كل طرف من أطراف عملية التواصل منزلته، وقد نبه بعض الدارسين الغربيين المتأخرين على ضرورة الالتفات إلى سلطة منتج النص (بغورة، ٢٠٠٥م، ص١٨٨، ١٨٩)، ولقد اشترط أوائل البلاغيين في منتج النص شروطا، منها:

الطبع/الـمَلَكَةُ:

تحدث اللسانيون عن الملكة اللغوية (دي سوسير، ١٩٨٥م، ص٢٨، ٢٩)، ودققوا في الجوانب العضوية الفيزيائية لعملية الاتصال اللغوي (الزراعي، ٢٠١٦م، ص٥٣ : ٧٩)، وتحدث أوائل البلاغيين العرب عنها، فعقد الجاحظ أبوابا من كتابه البيان والتبيين، تحدث فيها عن الجوانب الصوتية وعيوب النطق (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١٢)، وأورد قصصا لمن تفوق

على ما اعتور نطقه من عيوب، وكان من البلغاء (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١٤)، وتكلم كذلك عن أدوات البلاغة، وأولها عنده - بعد سلامة جهاز النطق لدى المتكلم (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٥٥) - أن يكون مطبوعا ليكون بليغا، فقد نقل عن ابن حريز أنه قال: "رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدِّربة، وجناحاها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير الألفاظ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٤٤).

التعليق [د_راجحي5]: في هذا الموضع ومواضع سابقة كثيرة يلزم الاهتمام بالضبط ووضع الشدّة

والطبع لا يختص بالخطابة كما يوهم لفظ ابن حريز، فقد نقل ابن رشيق عن الرماني قوله: "أصل البلاغة الطبع" (القيرواني، ٢٠٠٣م، ١/ ٢٠٤)، ولم أعثر عليه في رسالته النكت في إعجاز القرآن، وله في ختامها كلام عن تفوق العرب على المولدين بالطبع، بمعنى ما نقله ابن رشيق (الرماني، ١٩٧٦م، ص١١٣)، وربما قصدوا بالطبع ما أوضحه أبو هلال بقوله: "وأول آلات البلاغة جودة القريحة، وطلاقة اللسان" (العسكري، ١٩٨١م، ص٣٠).

وأرجعوا تحقق القدرة والكفاية البلاغية أيضا إلى كمال العقل، والتزود بالمعارف والخبرات، قال ابن قتيبة: "ومدار الأمر على القطب، وهو العقل وجودة القريحة" (ابن قتيبة، ٢٠٠٢م، ص٢٠)، وقال ابن طباطبا: "وجماع هذه الأدوات كمال العقل، الذي به تتميز الأضداد، ولزوم العدل، وإيثار الحَسَن، واجتناب القبيح، ووضع الأشياء مواضعها" (العلوي، ٢٠٠٥م، ص٧)، وقال ابن سنان الخفاجي: "وأما الآلة فأقرب ما قيل فيها إنها طبع هذا الناظم والعلوم التي اكتسبها" (الخفاجي، ١٩٨٢م، ص٩٤)، ونقل الباقلاني أن الفصاحة: "الاقتدار على الإبانة عن المعاني الكامنة في النفوس، على عبارات جليلة، ومعان نقية بهية" (الباقلاني، ١٩٨١م، ص١٢٧).

وأدركوا تفاوت قدرات الناس في جانب الصِّنعة الأدبية وفنون القول بعامة، وتفاوت قدراتهم في الفن الواحد، واختلاف قدراتهم من فن إلى آخر، وتفاوت قدرات المبدع الواحد واختلاف حالاته، فقد يجيد فنا منها ولا يجيد آخر لصيقا بما يجيده، وقد يبرع في أكثر من فن، وقد تمر به حالات يتعسر عليه أن يكتب سطرا أو بيت شعر، وإن كان أبرع الناس فيه (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٢٠٧ : ٢٠٩)، وكانوا يفاضلون بين المتكلمَين بكون أحدهما أكثر اقتدارا على الكلام من الآخر، قال أبو العباس محمد بن يزيد: "فينظر أيهما أشد على الكلام اقتدارا، وأكثر تسمحا، وأقل معاناة، وأبطأ معاسرة، فيعلم أنه المقدم، وقد كانت البلغاء تتفقد ما هو أقل من هذا" (المبرد، ١٩٨٥م، ص٨١) ، وجعلوا المتكلم "المقدم في صنعة الكلام هو المستولي عليه من جميع جهاته، المتمكن من جميع أنواعه" (العسكري، ١٩٨١م، ص٣٣)، وعقدوا المشابهة بين المتكلم وبين المصور، قال الباقلاني: "وقد أجمعوا أن من أحذق المصورين، من صور لك الباكي المتضاحك، والباكي الحزين، والضاحك المتباكي، والضاحك المستبشر، وكما أنه يحتاج إلى لطف يد في

التعليق [د_راجحي6]: اضبط اللفظ

تصوير هذه الأمثلة، فكذلك يحتاج إلى لطف في اللسان والطبع في تصوير ما في النفس للغير" (الباقلاني، ١٩٨١م، ص١١٩).

الإفهام:

أوجب أوائل البلاغيين العرب على المتكلم ألا يسيء الإفهام، فقد نقلوا عن إبراهيم بن محمد المعروف بالإمام قوله: "يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٨٧)، ومثله ما نقله ابن رشيق: "وقال آخر: البلاغة أن تُفهم المخاطب بقدر فهمه، من غير تعب عليك" (القيرواني، ٢٠٠٣م، ١/ ٢٠٥)، ففيه أمر المتكلم بالإفهام، وفيه أيضا مراعاة قدرة المخاطب اللغوية والعقلية (بقدر فهمه)، وفيه اعتبار لقدرات المتكلم من جهة ثانية (من غير تعب عليك)، ومثله قول العتابي حين سئل عن البلاغة: "كل من أفهمك حاجته من غير إعادة، ولا حُبسة ولا استعانة، فهو بليغ" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١١٣)، فالمخاطب معتبر أيضا، وقدرات المتكلم الإفهامية ضرورية لتحقق البلاغة، والوظيفة الإبلاغية والسامع معتبران معا، كما في قول ابن رشيق: "وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع؛ ولذلك سميت: بلاغة" (القيرواني، ٢٠٠٣م، ١/ ٢٠٥).

القصدية والحجاجية:

يسعى المتكلم/المرسل إلى التقرب من قصده وبغيته، وإثبات حجته، وبلوغ غايته عبر الرسالة اللغوية/النص، وهو ما صرح به أوائل البلاغيين العرب في ثنايا أبحاثهم البلاغية، قال ابن الأعرابي "البلاغة: التَّقَرُّب من البُغيَة" (القيرواني، ٢٠٠٣م، ١/ ٢٠٧)، وقال أبو هلال: "فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى، كحاجته إلى تحسين اللفظ؛ لأن المدار بعد على إصابة المعنى" (العسكري، ١٩٨١م، ص٨٤).

وأضافوا إلى إصابة المعنى القصد إلى الحجة، فقد ذكر خالد بن صفوان أن البلاغة: "إصابة المعنى، والقصد إلى الحجة" (القيرواني، ٢٠٠٣م، ١/ ٢٠٦)، فما لم يصب المعنى فليس بليغا.

والقصد شرط من شروط العملية التواصلية (حمدي، ٢٠١٢م، ١٥٩)، وانعدامه ينفي البلاغة عن الكلام/النص، وإن لم ينف عن اللفظ الفصاحة، فكل شيء يردد الكلام الفصيح - كالصدى وما جرى مجراه من الحيوانات والآلات الحاكية صوت الإنسان - لا يطلق عليه لفظ البلاغة، وقد مثلوا لذلك بمثال أخرجوا فيه الببغاء من دائرة البلاغة، وإن كان فصيحا في نطقه الألفاظ التي يسمعها ويرددها، لانعدام القصد إلى المعنى لديه، فقالوا: "ولا يسمى: بليغا؛ إذ هو مقيم الحروف، وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه"(العسكري، ١٩٨١م، ص١٧)، وما ذكروه من: (القصد إلى الحجة) و(ليس له قصد إلى المعنى)، تصريح بوجوب توافر القصدية في تأليف الكلام.

وإشاراتهم إلى الحجة دليل جلي على إدراكهم الوظيفة الإقناعية، وحجاجية البناء اللغوي، قال ابن المقفع في حديثه عن البلاغة: "ومنها ما يكون في الاحتجاج" (القيرواني، ٢٠٠٣م، ١/ ٢٠٤)، ونحوه قول عبيد الله بن عتبة: "البلاغة دنو المأخذ، وقرع الحجة" (العسكري، ١٩٨١م، ص٢٥).

المطلب الثاني

المخاطب/المرسل إليه

لم يتوقف أوائل البلاغيين في حديثهم عن البلاغة عند الرسالة اللغوية/النص، كما هو الحال في بعض الدراسات الغربية، كاللسانيات والشكلانية والبنيوية، بل أشركوا المرسل إليه/المخاطب في العملية التواصلية، وتناولوا أثره وأدواره التي ترافق مراحل إنتاج النص/الرسالة وتلقيه.

وبالرغم من أن بعض الدراسات الغربية ركزت على المرسل إليه/المستقبل/المتلقي، وتعمقت في تناول دوره في قراءة النص وإعادة إنتاجه، كما في نظريات التلقي ولا نهائية القراءة، فإنها أهملت كيف يؤثر أخذه بالاعتبار في مرحلة إنتاج النص، وما يترتب من آثار على معرفة حاله، وقدراته، ومكانته، وما لأخذه بالاعتبار من أهمية فاعلة في كل مراحل إنتاج النص/الرسالة.

وبحسب دراسات أوائل البلاغيين العرب فعلى منتج النص مراعاة ذلك كله في عملية الإنتاج، بحيث يؤثر استحضار المتلقي في اختيار الألفاظ والمعاني المناسبة لـ: مكانة المخاطب إذ ذكروا أن على الكاتب أن ينزل ألفاظه على قدر كاتبها، والمكتوب إليه، والمقام الخطابي (ابن قتيبة، ٢٠٠٢م، ص٢٤)، وقدراته الاتصالية فلا يثقل عليه بالإطالة ونحوها (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١٠٤)، وقدراته التواصلية/اللغوية، إذ ذكروا أن أول ما ينبغي أن يخاطب كلَّ فريق على قدر طبقتهم وقوتهم في المنطق (العسكري، ١٩٨١م، ص١٧٢)، وحاله من حيث موقعه الخطابي كونه أعلى، أو أدنى من المتكلم فإن ذلك يقتضي أن يكون الكلام التماسا، أو دعاء، أو أمرًا، ونحو ذلك، وعلاقته بالمضمون الذي تحمله الرسالة اللغوية، كما ذكروا من حكاية بشار والجارية ربابة فبيتاه فيها كانا عندها بمثابة قفا نبك (الزجاجي، ١٩٩٩م، ص١٥٧، ١٥٨)، ثم يأتي أثر نوع الموقف الخطابي الذي يوجه إليه الخطاب فيه، بين: وعظ، يلزم فيه مراعاة المتلقين، وصلح؛ يلزم فيه بسط القول وبيان كل ما فيه التقريب بين الأطراف (ابن قتيبة، ٢٠٠٢م، ص٢٥)، وخطبة زواج، حيث يرون أن يطيل الخاطب ويقصر المجيب (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١١٦، ١١٧)، ونحو ذلك، وتناولوا أثر استجابة المتلقي ونشاطه وتفاعله أثناء التواصل على المتكلم (الجاحظ، ١٩٩٨م، ٢/ ٤٠).

فكل ذلك وغيره من أحوال مستقبل الرسالة وموقفه الخطابي تناولته بالتفصيل دراسات قدماء البلاغيين العرب، وأهملته دراسات الغربيين في القرن الماضي، رغم دوره الكبير في تشكيل

اضبط :[7راجحي_د] التعليق

لم لا تهتم بتنوين النصب :[8راجحي_د] التعليق
.... أمرًا

الخطاب وتوجيهه وتحديد قنوات الاتصال التي تناسب المتلقي وكذلك مستوى اللغة، بحيث إنه ليتحكم في عملية إنتاج النص وإنجاح الفعل التواصلي، حتى إنه ليتحكم أحيانا في تحديد نبرة الصوت الملائمة وأنواع الألفاظ والمعاني، ونوع المؤكِّد والقدر المناسب من المؤكِّدات، وغير ذلك من آثار أخذ المتلقي بالاعتبار حين إنتاج النص، وأثناء عملية الاتصال.

وتجاوز البلاغيون العرب القدماء دراسة أثر أخذ المتلقي بالاعتبار في عملية الإنتاج، إلى جانب دراسة دوره فيما بعد عملية الإنتاج، وما يجب عليه أن يسهم به في سبيل إنجاح عملية التواصل، وأوجبوا للمتكلم على السامع حقوقا (الجاحظ، ١٩٩٨م، ٢/ ٤١)، واشترطوا عليه شروطا، بصفته متلقيا مستمعا:

حسن الاستماع:

ألزم أوائل البلاغيين السامع أن يحسن الاستماع، فقالوا: "من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١٠٥)، وأوضح منه قول ابن المقفع في الأدب الكبير: "تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى يقضي حديثه، وقلة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول" (ابن المقفع، ١٩٨٩م، ص٢٧٧)، ونقل عنه الجاحظ أن البلاغة "منها ما يكون في الاستماع" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١١٦)، وهذه إشارة مباشرة إلى ما كانوا يرونه من واجبات المتلقي لإنجاح عملية التواصل من ناحية، وتحقيق البلاغة من ناحية ثانية، فالمتلقي عندهم ليس له أن يقف موقفا سلبيا، بل هو شريك فاعل في العملية التواصلية، قال أبو هلال معلقا على نص ابن المقفع الآنف: "فإن المخاطب إذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدي إليه الخطابُ، والاستماع الحسن عون للبليغ على إفهام المعنى" (العسكري، ١٩٨١م، ص٢٥).

وكانوا يرون أن العلاقة تفاعلية بين المرسل والمرسل إليه، وعدُّوا سوء الاستماع نفاقا (الجاحظ، ١٩٩٨م، ٢/ ٤٢)، وذهبوا إلى انتفاء البلاغة عمن لا يحسن الاستماع، قال عمرو بن عبيد: "ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١١٤)، **وفي هذا إيماء منهم إلى تفاعلية العملية التواصلية بين الطرفين**، فالمتلقي إذا أحسن الاستماع فإنه سيتحول إلى دور المتكلم حين يجيب فينفعه حسن استماعه، ولذلك قدموا الاستماع على القول، قال صالح المري: "كن إلى الاستماع أسرع منك إلى القول" (الجاحظ، ١٩٩٨م ٢/ ٧٩)، وهو ما يعني إدراكهم صفة التشارك والتفاعل في الفعل التواصلي، حيث يتحول المتكلم إلى مستمع، والمستمع إلى متكلم، فحثوا على الاستماع وقدموه.

حسن الفهم:

إن السامع عند أوائل البلاغيين العرب شريك فاعل في عملية التواصل، فطالبوه بحسن الفهم، فقد نقلوا عن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أنه قال: "يكفي من حظ البلاغة أَلَّا يُؤْتَى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا الناطق من سوء فهم السامع" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٨٧)، واستحسن الجاحظ هذا القول جدا، واستحسنه ابن رشيق أيضا (القيرواني، ٢٠٠٣م، ١/ ٢٠٧)، وعلق عليه ابن سنان فقال: "وهذا كلام مختار في تفضيل البلاغة" (الخفاجي، ١٩٨٢م، ص٦١).

وقدم الجاحظ الفهم - الذي هو في الأساس مهمة السامع - على الإفهام، وجعل حسن الفهم السبيل إلى حسن الإفهام، فقال: "وإنما مدار الأمور، والغاية التي يُجرى إليها: الفهم ثم الإفهام" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ٢/ ٣٩)، ونقل الجاحظ بعد ذلك أقوالا في امتداح حسن الفهم، منها: "قال عمرو بن العاص ثلاثة لا أملهم: جليسي ما فهم عني، ...، وذكر الشعبي ناسا فقال: ما رأيت مثلهم أشد تنابذا في مجلس، ولا أحسن تفهما عن مُحدِّث، ووصف سهل بن هارون رجلا فقال: لم أر أحسن منه فهما لجليل، ولا أحسن تفهما لدقيق" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ٢/ ٣٩).

بل إن البلاغة لا تتحقق عندهم إلا بتحقق فهم السامع، قال أبو هلال: "فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه" (العسكري، ١٩٨١م، ص١٥).

أثر مكانة المتلقي وحاله في إنتاج الكلام:

أوجب أوائل البلاغيين العرب مراعاة مكانة المتلقي وقدراته ومستوى فهمه، فقال بشر بن المعتمر: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١٣٨، ١٣٩).

وجعلوا نشاط المستمع/المتلقي وقدرته على الاحتمال مقياسا لبلاغة الكلام، فما زاد عنه من الكلام فهو زائد عن الحاجة خارج عن حد البلاغة، قال الجاحظ: "للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن قدر الاحتمال، ودعا إلى الاستثقال والملال، فذلك الفاضل هو الهذر وهو الخطل، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٩٩).

وألزموا المتكلم أن يراعي قدرات المخاطبين وطاقاتهم وأقدارهم، فـ"مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٩٣)، ومنزلة المخاطب ومكانته الاجتماعية مأخوذة بالاعتبار في عملية التواصل والإنتاج: "فيخاطب الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات، ويتوقى حطها عن مراتبها، وأن يخلطها بالعامة، كما يتوقى

أن يرفع العامة إلى درجات الملوك، ويعد لكل معنى ما يليق به، ولكل طبقة ما يشاكلها، حتى تكون الاستفادة من عقله في وضعه الكلام مواضعه، أكثر من الاستفادة من قوله في تحسين نسجه وإبداع نظمه" (العلوي، ٢٠٠٥م، ص٩).

وجعلوا مكانة المتلقي وقدرته الفيصل في تحديد ما يلزم المتكلم من إعادة كلامه وترديده، فقالوا: "وجملة القول في الترداد أنه ليس له حد ينتهى إليه ولا يؤتى على وصفه، وإنما ذلك على قدر المستمعين ومن يحضره من العوام والخواص" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١٠٥)، ونهوا المتكلم عن أن يحدث من لا يقبل عليه بوجهه، ونقلوا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم، وأذنوا لك بأسماعهم، ...، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١٠٤)، وفي هذا كله إشارة مباشرة إلى أثر المتلقي على المرسل في عملية إنتاج النص، وما يكون له من سلطة مباشرة تسهم في تشكيل النص، من خلال استحضاره لدى المتكلم أثناء عملية التواصل.

وفطنوا لتفاوت مستويات المتلقين، فليس كل مخاطب/متلق بمرتبة أن يدرك تفاضله ويحدد مستوياته ودرجاته في البلاغة وفي أداء وظيفته الاتصالية، فقالوا: "وقد يتفق أن يسلم الكلام والمعنى، من غير رشاقة ولا نضارة في واحد منهما، وإنما يميز من يميز ويعرف من يعرف، والحكم في ذلك صعب شديد، وقل من يميز أصناف الكلام" (الباقلاني، ١٩٨١م، ص١١٩، ١٢٠).

وذهبوا إلى جعل المتلقي مقياسا لاكتشاف مواهب المبدعين، فأوصوا المبتدئ في هذه الصناعة أن يعرض على المتلقين ما صاغه منها في ثنايا ما يقرأه عليهم دون أن يشعرهم أنه له، فإن وجد له مساغا لديهم استمر، وإلا فليعد الكرة بصياغة جديدة، فإن قبلت لديهم استمر، وإن استهجنوها ترك هذا المجال إلى ما يتقنه من الصناعات (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٢٠٣).

المطلب الثالث

الرسالة/الكلام/النص

الرسالة، هي: الفعل الكلامي المناقض للسكوت، فلا يوصف السكوت بالبلاغة إلا "مجازا، وهو في حالة لا ينجع فيها القول، ولا ينفع فيها إقامة الحجج، إما عند جاهل لا يفهم الخطاب، أو عند وضيع لا يرهب الجواب، أو ظالم سليط يحكم بالهوى، ولا يرتدع بكلمة التقوى، وإذا كان الكلام يعرى من الخير، أو يجلب الشر، فالسكوت أولى" (العسكري، ١٩٨١م، ص٢٣).

وقد مثلت الرسالة/الكلام/النص محور الارتكاز في الدراسات الغربية في القرن الماضي، خصوصا عند اللسانيين والشكليين والبنيويين، ولا تزال أصداء ذلك تتردد حتى يوم الناس هذا، ومدار العمل في هذا المطلب على استعراض بعض ما جاء من أوصاف الرسالة/الكلام/النص في

تعريفات البلاغة ومباحثها عند أوائل البلاغيين، حيث إنهم قرنوا اللفظ بالمعنى، والمعنى باللفظ، وربطوهما بعلاقة تجعل من انفكاكهما عن بعض أمرا مستحيلا، فشبهوا الألفاظ عند النطق بها بالجسد، وشبهوا المعنى بالروح، فـ"ـالكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه" (العلوي، ٢٠٠٥م، ١٦)، ومثله قولهم في: "باب في اللفظ والمعنى: اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته" (القيرواني، ٢٠٠٣م، ١/ ١١١).

شرف اللفظ/النص:

لا نقصد بهذا العنوان إلى ما أثاره الجاحظ وتبعه كثير من النقاد والدارسين من قضية تقديم اللفظ على المعنى، حينما قال: "وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، ...، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء" (الجاحظ، ١٩٦٥م، ٣/ ١٣١)، وذكر أن الألفاظ محدودة وأن المعاني لا نهائية (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٧٦)، وممن تبعه في تقديم اللفظ أبو هلال، مستدلا لذلك بأدلة منها: تعدد الأوصاف المطلوبة للفظ وليس المطلوب من المعنى إلا أن يكون صوابا، ومنها: أن الوظيفة الجمالية للغة مرتكزة على أوصاف اللفظ، أما الإفهام فقد يتحقق بالرديء من الألفاظ كما يتحقق بالجيد منها، حيث قال: "وليس الشأن في إيراد المعاني؛ لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي، والقروي والبدوي، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه، ...، وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا، ولا يقنع من اللفظ بذلك، حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدمت، ...، ومن الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ، أن الخطب الرايعة، والأشعار الرايقة، ما عملت لإفهام المعاني فقط؛ لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام" (العسكري، ١٩٨١م، ص٧٢، ٧٣)، وفي كلامه هذا نظر ليس هذا موضع بيانه.

بل المراد بالشرف ههنا أن تتحقق المزية وتحصل البلاغة للرسالة/الكلام/النص، ويكون ذلك بتحقق أوصاف بعينها في الرسالة اللغوية؛ حيث كان أوائل البلاغيين العرب القدماء يرون أن الألفاظ كالمعارض التي تعرض فيها الجواري للبيع، وأن المعاني كالجواري (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٢٥٤)، وأن "المعنى اللطيف في اللفظ الشريف كالحسناء الحالية" (ابن وكيع، ١٩٨٢م، ١/ ٧)؛ "لأن المعاني تحل من الكلام محل الأبدان، والألفاظ تجري مجرى الكسوة" (العسكري، ١٩٨١م، ص٨٤).

وقد أوضحوا المراد بشرف اللفظ/الكلام، وشروط تحقق ذلك له، فقالوا: "وإذا كان الكلام إنما يفيد الإبانة عن الأغراض القائمة في النفوس، التي لا يمكن التوصل إليها بأنفسها، وهي محتاجة إلى ما يعبر عنها، فما كان أقرب في تصويرها وأظهر في كشفها للفهم الغائب عنها، وكان مع ذلك أحكم في الإبانة عن المراد، وأشد تحقيقا في الإيضاح عن المطلب، وأعجب في وضعه،

وأرشق في تصرفه، وأبرع في نظمه، كان أولى وأحق بأن يكون شريفا" (الباقلاني، ١٩٨١م، ص١١٩).

وكانوا يشترطون للكلام شروطا ويذكرون له أوصافا، فمن ذلك تعريف جعفر بن يحيى البيان بـ"أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلي عن مغزاك، وتخرجه عن الشركة، ولا تستعين عليه بالفكرة" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١٠٦)، ومنه أيضا تعريف جزالة اللفظ عند أبي العباس أحمد بن يحيى بقوله: "فأما جزالة اللفظ؛ فما لم يكن بالمغرب المستغلق البدوي، ولا السفساف العامي، ولكن ما اشتد أسره، وسهل لفظه، ونأى واستصعب على غير المطبوعين مرامه، وتُوُهِّمَ إمكانه" (ثعلب، ١٩٩٤م، ص٦٣)، وهذه الشروط وغيرها مبثوثة في كلامهم على التفصيل والإجمال.

تخيُّر/اختيار الألفاظ:

كانت للدارسين الغربيين وقفات على جانب عملية الاختيار التي تخضع لها عملية تأليف الكلام أفقيا وعموديا (ياكوبسون، ١٩٨٨م، ص٣٣)، وكان البلاغيون العرب يلزمون المتكلم أن يتخير من الألفاظ ما يناسب معانيه ويكشف عنها، وذهبوا إلى أن ترك التخير سبب فقدان البيان، حيث ذكروا أن الإنسان لا يحتاج في: "فساد البيان إلى أكثر من ترك التخير" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٨٦)، وجعل عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث "البلاغة: تخير اللفظ في حسن إفهام" (القيرواني، ٢٠٠٣م، ١/ ٢٠٨)، فجمع بقوله الوجيز هذا بين شرطين إن اجتمعا لمتكلم تحققت له ولكلامه البلاغة، وكما كان تخير الكلام هو البيان عندهم والبلاغة فإنهم كانوا يدركون أنه أصعب من جمعه، وتأليفه، "فمدار البلاغة على تخير اللفظ، وتخيره أصعب من جمعه وتأليفه" (العسكري، ١٩٨١م، ص٣٢).

وقد حدد أوائل البلاغيين ما يجب أن يتخير من اللفظ، فقالوا: "وإذا كان كذلك وجب أن يتخير من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على المراد، وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب" (الباقلاني، ١٩٨١م، ص١١٧)، وهذا في جانب وجوب اختيار ما كان أقدر على تحقيق الغاية المرادة من الكلام لديهم وهي الإبانة، أما ما يخص وجوب تخير ما يحقق المناسبة التامة بين اللفظ والمعنى، فأوجبوا: "أن يتخير الألفاظ الرشيقة للمعاني البديعية" (الباقلاني، ١٩٨١م، ص١١٥).

وذكروا أن تَخَيُّرَ الألفاظ مما يحقق التئام الكلام؛ فقالوا: "وتخير الألفاظ وإبدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام، وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته" (العسكري، ١٩٨١م، ص١٥٩)، وهو من الأوصاف التي يحوز بها الكلام الحسن، قال أبو العباس: "حق البلاغة: إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم" (المبرد، ١٩٨٥م، ص٨١)، وقال أبو

هلال: "الكلام أيدك الله، يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتخير لفظه، وإصابة معناه" (العسكري، ١٩٨١م، ص٦٩)، وتخير الألفاظ فن لا يحسنه الجلف الوحشي الغريب من الناس، قال أبو سليمان: "وإنما يكثر وحشي الغريب في كلام الأوحاش من الناس والأجلاف من جفاة العرب، الذين يذهبون مذاهب العنجهية، ولا يعرفون تقطيع الكلام وتنزيله والتخَيُّر له" (الخطابي، ١٩٧٦م، ص٣٧)، فحدد بذلك العلاقة الخفية بين تشكل الكلام وفق تشكل الجوانب العميقة للمتكلم والسامع.

المناسبة:

ركز أوائل البلاغيين العرب على ضرورة إحسان اختيار الألفاظ المناسبة للمعاني، قال الجاحظ: "وقال بعضهم وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه: لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١١٥).

وكانوا على وعي تام بأثر المقامات الخطابية في عملية إنتاج الرسالة اللغوية، بما يقتضيه قانون المناسبة، فما يحسن في مقام قد يكون قبيحا في آخر، وهذا يجعلهم يشددون على ضرورة تحقق المناسبة فـ"للمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها، وتقبح في غيرها، فهي كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسنا في بعض المعارض دون بعض، فكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرز فيه، وكم من معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح أُلبسه" (العلوي، ٢٠٠٥م، ص١١)، وإلى نحو هذا ذهب الجاحظ؛ فقال: "وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا، وساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا، إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فإن الوحشي من الكلام لا يفهمه إلا الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي، وكلام الناس طبقات كما أن الناس أنفسهم طبقات" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١٤٤)، وذكر أبو بكر الباقلاني أن المتكلم "يجب أن يتنكب ما كان عامي اللفظ، مبتذل العبارة، ركيك المعنى، سفسافي الوضع، مجتلب التأسيس، على غير أصل ممهد، ولا طريق موطد" (الباقلاني، ١٩٨١م، ص١١٧، ١١٨).

ومن المناسبة نوع آخر تفطنوا له وهو المناسبة بين نوع الخطاب والطريقة المتبعة في مثله، وذكروا أنه شأن مما تتغير فيه العادات والأعراف والمواضعات؛ فقالوا: "وأمَّا النثر فيجري على هذا المنهاج، ويحتاج فيه إلى معرفة المواضعات في الخطاب، والاصطلاحات، فإن للكتب السلطانية من الطريقة ما لا يستعمل في الإخوانيات، وللتوقيعات من الأساليب ما لا يحسن في التقاليد، وهذا الباب، أعني المواضعة والاصطلاح في الخطاب، يتغير بحسب الأزمنة والدول، فإن العادات القديمة قد هجرت ورفضت، واستجد الناس عادة بعد عادة، حتى إن الذي يستعمل اليوم في الكتب غير ما كان يستعمل في أيام أبي إسحاق الصابي، مع قرب زمانه منا، وإذا كان

الأمر على هذا جاريا؛ فليس يصح لنا أن نضع رسوما نوجب اقتفاءها، لأنَّا نحن في هذا الزمان قد غيَّرنا الرسم المتقدم لمن قبلنا، وكذلك ربما جرى الأمر فيما بعدنا، لكن أصول الأغراض في الأوصاف والمعاني مما لا تتبدل ولا تتغير، فليكن الائتمام بها واقعا، والاجتهاد في جريها على قانون السداد والصواب حاصلا" (الخفاجي، ١٩٨٢م، ص٢٥٦، ٢٥٧).

لذة القراءة/الفهم:

جاء في إشارات أوائل البلاغيين العرب أن لذة القراءة تتحقق بتحقق الفهم للمتلقي؛ فالفهم عندهم غاية أساس للكلام، وذلك بأن يحقق اللفظ البيان، ويكشف عن فحواه، فلا يشوبه الغموض، ولا يستغلق فيعجز المتلقي عن فهمه؛ فالغموض والاستغلاق مما يناقض الغاية الأساس التي يصاغ لها الكلام (الخفاجي، ١٩٨٢م، ص٢٢١)، وإلى نحو هذا ذهبت الدراسات الغربية، يقول هابرماس: "إن غاية الفهم المتبادل مغروسة في الاتصال اللغوي" (أبو السعود، ٢٠٠٢م، ص١٠٥)، وتحقيق الفهم بين البشر وحفظه وتوسيعه هدف رئيس عند التواصليين(أبو السعود، ٢٠٠٢م، ص١٠٢)، ولكن ذلك لا يعني أن يفهم المرسل إليه/المتلقي مضمون الكلام وقصد المرسل/المتكلم ومراده، على أي صورة كان تحقيق هذه الغاية، ولو باستخدام اللغة العادية/اليومية باعتبار أن الوظيفة التواصلية للغة تتحقق بتحقق الفهم، بغض النظر عن التزام النظام اللغوي من عدمه، حتى عند التواصليين الذين يركزون على الاستعمال اليومي (سيد أحمد، ٢٠١٠م، ص٣٠٣).

وجعل أوائل البلاغيين العرب تحقق الفهم غاية مركزية للكلام، لكنهم اشترطوا أن يتحقق هذا الفهم بالكلام المبني وفق طرق العرب في التعبير عن معانيها، وعقد الجاحظ للتنبيه على ذلك مباحث في كتابه البيان والتبيين، وقال في ذلك: "ومن زعم أن البلاغة: أن يكون السامع يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة، والملحون والمعرب كله سواء، وكله بيانا، وكيف يكون كله بيانا؟" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١٦٢)، وعقب الجاحظ على تعريف البلاغة للعتابي، الذي نقله صديق له، وفحواه أن البليغ من أفهمك مراده (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١١٣)، فقال: "والعتابي حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ، لم يعن أن كل من أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه، بالكلام الملحون، والمعدول عن جهته، والمصروف عن حقه، أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان، ...، وإنما عنى العتابي إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ١٦١، ١٦٢)، وقال علي بن عيسى الرماني: "وليست البلاغة إفهام المعنى؛ لأنه قد يُفْهِم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيي، ولا البلاغة بتحقيق اللفظ على المعنى؛ لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره

ونافر متكلف" (الرماني، ١٩٧٦م، ص٧٥)، ثم قال في حديثه عن البيان: "وليس كل بيان يفهم به المراد فهو حسن؛ من قبل أنه قد يكون على عي وفساد" (الرماني، ١٩٧٦م، ص١٠٦).

وتناولوا أثر كون الكلام عندهم موضوعا للإبانة والإفهام في عملية إنتاج الكلام، بضرورة اختيار ما به يتحقق الإفهام، فألزموا المتكلم أن يخاطب كل طائفة من المتلقين بما يفهمونه؛ فقالوا: "وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام؛ فالواجب أن تقسم طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوقة، والبدوي بكلام البدو، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام، وتعدم منفعة الخطاب" (العسكري، ١٩٨١م، ص٣٩)، وذكر أبو بكر الباقلاني: "أن الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس، ...، ولم يكن مستكره المطلع على الأذن، ولا مستنكر المورد على النفس، حتى يتأبى بغرابته في اللفظ عن الإفهام، أو يمتنع بتعويص مبناه عن الإبانة" (الباقلاني، ١٩٨١م، ص١١٧).

والكلام عندهم أفضل من السكوت، وهو مدار البلاغة بخلاف السكوت؛ فإنه عي وعجز، وإطالته تضعف آلة البيان (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٢٧١)، ولكن السكوت عندهم أفضل من الكلام الغامض المستغلق المستعصي على الفهم، قال ابن سنان الخفاجي: "قد بينا أن الكلام غير مقصود في نفسه، وإنما احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم، ويُفهِموا المعاني التي في نفوسهم، فإذا كانت الألفاظ غير دالة على المعاني ولا موضحةً لها، فقد رفض الغرض في أصل الكلام، وكان ذلك بمنزلة من يصنع سيفا للقطع ويجعل حده كليلا، ...، فإن هذا مما لا يعتمده عاقل، ثم لا يخلو أن يكون المعبر عن غرضه بالكلام يريد إفهام ذلك المعنى، أو لا يريد إفهامه، فإن كان يريد إفهامه فيجب أن يجتهد في بلوغ الغرض بإيضاح اللفظ ما أمكنه، وإن كان لا يريد إفهامه فليدع العبارة عنه فهو أبلغ في غرضه" (الخفاجي، ١٩٨٢م، ص٢٢١).

أما بخصوص تحقق لذة القراءة/الفهم التي شكلت أهم ما دار حوله حديث رولان بارت في كتابه لذة النص، حيث جعل لذة النص في أن يرضي القارئ ويهبه الغبطة، وفرق بين اللذة والمتعة، فالنص الرصين يحقق اللذة والنص الهش يحقق المتعة، وذكر أن لذة النص هي القيمة المنتقلة إلى قيمة النص الفاخر (بارت، ١٩٩٢م، ص٣٩، ص١١١)، وكانت لذة القراءة حاضرة عند أوائل البلاغيين، حيث ذكرها الجاحظ بلفظ الاستمتاع؛ حيث قال: "فإذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها بمقدار ما فيها من الحسن" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ١/ ٢٠٣)، وجاءت بلفظ الفعل (يلتذ) ومصدره (التذاذا) في قول ابن طباطبا: "بل يكون كالسبيكة المفرغة، والوشي المنمنم، والعقد المنظم، والرياض الزاهرة، فتسابق معانيه ألفاظه؛ **فيلتذ الفهم بحسن معانيه كالتذاذ السمع بمونق لفظه**، ...، وتكون الألفاظ منقادة لما تراد له، غير مستكرَهة ولا متعَبَةٍ، مختصرة الطرق، لطيفة المَوالج، سهلة المخارج" (العلوي، ٢٠٠٥م، ص٧).

فوائد التواصل:

عندما تحدث التواصليون عن الهدف المرجو من التواصل نجدهم تحت تأثير منطلقهم الاجتماعي مزجوا بين أهداف التواصل اللغوي وأهداف التواصل الاجتماعي، وكان تحقيق التفاهم والإجماع هو أهم ما يصبون إليه (فينليسون، ٢٠١٥م، ص٥٠)، سعيا لتنشئة مجتمعات متفاهمة متعايشة على أسس التواصل التي اقترحوها، أما أوائل البلاغيين العرب فإنهم ركزوا على أهداف التواصل اللغوي فهيمنت على ما يرون أن البلاغة تحققه للكلام/الرسالة والمتكلم/المرسل والسامع/المرسل إليه فقالوا: "ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه، وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وَفْقا، ولذلك القدر لِفقا، وخرج من سماجة الاستكراه، وسلم من فساد التكلف، كان قمينا بحسن الموقع، وانتفاع المستمع، وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين، ويحمي عرضه من اعتراض العائبين، وألا تزال القلوب به معمورة، والصدور مأهولة، ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه، متخيرا من جنسه، وكان سليما من الفضول، بريئا من التعقيد، حبب إلى النفوس، واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب، وخف على ألسن الرواة، وشاع في الآفاق ذكره، وعظم في الناس خطره، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس، ورياضة للمتعلم الريض، ...، وكان قد أعفى المستمع من كد التكلف، وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهم" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ٢/ ٨، ٩).

الخاتمة

يظهر من كل ما مر أن أوائل البلاغيين العرب قد تناولوا عناصر الفعل التواصلي في حين أن أغلب الدراسات الغربية في القرن الماضي انكفأت على النص (الرسالة) واقتصرت على دراسة بنية النص ولغته داخليا، وأهملت ما عدا اللغة من مكونات وعناصر الفعل التواصلي، وأن الدراسات الغربية التي حاولت كسر قيود البنية، والانتقال إلى الخارج إنما عملت ذلك على مستويين الأول عمل على استكشاف الخارج من خلال معطيات النص نفسه، وهذا لم يصنع شيئا ذا بال، فهو ما يزال داخل قوقعة البنية وإن وقف على أسوارها وحاول استشفاف ما وراءها عبرها، والثاني تجاوز أسوار البنية ليحاول فهم البنية من خلال معطيات الخارج والمحيط، ولكنه اقتصر على هذه الوظيفة، وهي وظيفة استهلاكية غير منتجة، وإن كانت هذه الفئة أفضل بكثير من سابقتها؛ فهي أكثر مقاربة للنص وأوسع نظرا، وأعمق فهما.

ألا تجد لفظًا أكثر ملاءمة :[9راجحي_د] التعليق

أما الدراسات التواصلية الغربية فهي أكثر قربا إلى ما كانت عليه نظرة قدماء البلاغيين العرب في ما يخص عناصر الفعل التواصلي، إذ يقترب بعضهما من بعض في جانب أنهما يأخذان فاعلية عناصر الفعل التواصلي على مستويي الإنتاج والفهم؛ لأنّهما يلاحظان أثر هذه العناصر في كل المراحل التي تحف عملية الإنتاج، فيذكران وجودها وما يجب أن تكون عليه من حالة قبل إنتاج الرسالة، ثم ما يجب أن تكون عليه في مرحلة الإنتاج، ثم ما يتوقع أن تصل إليه من حال بعد الإنتاج (الفهم) وما يترتب عليه أن تحدثه من الأثر.

ولقائل أن يقول: كيف تعقد مقارنة بين دراسات فلسفية عميقة ونظرات سريعة سطحية، وجوابه من ناحيتين:

الأولى: أن هذه النظرات وإن كانت سريعة سطحية فإنها تنبئ عن وعي بكل عناصر ومكونات العملية التواصلية، وفهم لأدوارها، وآثارها على عمليتي الإنتاج والقراءة.

الثانية: أن هذا البحث اقتصر على عبارات أوائل البلاغيين في مرحلة ما قبل ألف عام، ولم يتجاوزهم إلى سواهم من علماء اللغة والأصول والفلاسفة والمتكلمين، وغيرهم، ولا إلى من جاء من بعدهم البلاغيين.

وختاما فإن هذا البحث ليس إلا محاولة بسيطة للكشف عن بعض جوانب الحياة في التراث البلاغي، التي تنتظر مشروعا بلاغيا ينهض بها ويصلها بالحاضر ويستشرف - من خلال تواصلية التراث مع الحاضر - المستقبل، والله ولي الهداية والتوفيق.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الباحث

قائمة المصادر والمراجع

١- ألان، جراهام، ٢٠١١م، نظرية التناص، ترجمة/ د. باسل المسالمه، دار التكوين، دمشق سوريا.

٢- بارت، رولان، ١٩٩٢م، لذة النص، ترجمة/ د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب سوريا.

٣- الباقلاني، أبو بكر، ١٩٨١م، إعجاز القرآن، تحقيق/ السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة مصر.

٤- بغورة، الزواوي، ٢٠٠٥م، الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت لبنان.

٥- بليث، هنريش، ١٩٩٩م، البلاغة والأسلوبية، ترجمة/ د. محمد العمري، أفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب، أفريقيا الشرق بيروت لبنان.

٦- البواب، يوسف صالح، ٢٠١٥م، مدخل إلى اللسانيات العامة، مركز المجد، صنعاء اليمن.

٧- بوحوش، رابح، ٢٠٠٧م، اللسانيات وتحليل النصوص، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن.

٨- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى، ١٩٩٤م، قواعد الشعر، تحقيق/ د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر.

٩- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ١٩٩٨م، البيان والتبيين، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر

التعليق [10]راجحي_د: اجعل هذا مكان رقم ٩ فهو أسبق هجاءً

١٠- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ١٩٦٥م، الحيوان، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة مصر.

١١- حرب، علي، ١٩٩٥م، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت لبنان.

١٢- حمدي، أبو النور، ٢٠١٢م، الأخلاق والتواصل، التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

١٣- الخطابي، أبو سليمان، ١٩٧٦م، بيان إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق/ محمد خلف الله أحمد، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة مصر.

١٤- الخفاجي، ابن سنان، ١٩٨٢م، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
١٥- دي سوسير، فرديناند، ١٩٨٥م، علم اللغة العام، ترجمة/ د. يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد العراق.
١٦- الرماني، علي بن عيسى، ١٩٧٦م، النكت في إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق/ محمد خلف الله أحمد، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة مصر.
١٧- ريبول، آن، وموشلار، جاك، ٢٠٠٣م، التداولية اليوم، ترجمة/ د. سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان.
١٨- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، ١٩٩٩م، مجالس العلماء، تحقيق/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر.
١٩- الزراعي، حسين بن علي، ٢٠١٦م، اللسانيات وأدواتها المعرفية، الانتشار العربي، بيروت لبنان.
٢٠- أبو السعود، عطيات، ٢٠٠٢م، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، وبحوث فلسفية أخرى، شركة الجلال للطباعة، الإسكندرية مصر.
٢١- سلدن، رامان، ١٩٩٦م، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة/ سعيد الغانمي، المؤسسات العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان.
٢٢- سيد أحمد، مخلوف، ٢٠١٠م، اللغة والمعنى، مقاربات في فلسفة اللغة، تأليف مشترك، منشورات الاختلاف، الجزائر.
٢٣- سيرل، جون، ٢٠٠٩م، القصدية، بحث في فلسفة العقل، جون سيرل، ترجمة/ أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
٢٤- شبلنر، برند، ١٩٨٧م، علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب والبلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة/ د. محمود جاد الرب، الدار الفنية، الرياض السعودية.
٢٥- عبابنة، سامي، ٢٠٠٤م، اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن.
٢٦- عبد المجيد، جميل، ١٩٩٨م، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر.
٢٧- العسكري، أبو هلال، ١٩٨١م، الصناعتين، تحقيق/ د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٢٨- العلوي، ابن طباطبا، ٢٠٠٥م، عيار الشعر، تحقيق/ د. عبد العزيز بن ناصر المانع، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا.
٢٩- عياشي، منذر، ٢٠٠٤م، العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت لبنان.
٣٠- الفهري، عبد القادر الفاسي، ١٩٩٠م، البناء الموازي، دار توبقال، الدار البيضاء المغرب.
٣١- فينليسون، جيمس جوردن، ٢٠١٥م، يورجين هابرماس مقدمة قصيرة جدا، ترجمة/ أحمد محمد الروبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر.
٣٢- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ٢٠٠٢م، أدب الكاتب، مراجعة/ د. درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان.
٣٣- قدور، أحمد محمد، ١٩٩٦م، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق سوريا.
٣٤- القيرواني، ابن رشيق، ٢٠٠٣م، العمدة، ضبط/ د. عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت لبنان.
٣٥- كوهن، جان، ١٩٨٦م، بنية اللغة الشعرية، ترجمة/ محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء المغرب.
٣٦- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، ١٩٨٥م، البلاغة، تحقيق/ د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة مصر.
٣٧- ابن المقفع، عبد الله، ١٩٨٩م، آثار ابن المقفع، الأدب الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
٣٨- موشلر، جاك، وريبول، آن، ٢٠١٠م، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة/ مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، تونس.
٣٩- مونان، جورج، ١٩٩٤م، مفاتيح الألسنية، ترجمة/ الطيب البكوش، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، تونس.
٤٠- هولب، روبرت، ٢٠٠٠م، نظرية التلقي، ترجمة/ د. عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة مصر.
٤١- ابن وكيع، أبو محمد الحسن بن علي، ١٩٨٢م، المنصف في نقد الشعر، تحقيق/ د. محمد رضوان الداية، دار قتيبة، دمشق سوريا.
٤٢- ياكوبسون، رومان، ١٩٨٨م، قضايا الشعرية، ترجمة/ محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء المغرب.